فصل تهميدي

التعريف العام للحوار

لبداية الحديث عن الحوار، لا بد من تعريفه لغة، وبيان فحواه اصطلاحًا، ثم الانتقال إلى توضيح أهميته، وبيان مشروعيته، وتبيان أطره ومجالاته، وذلك على النحو الآتي:

- **المبحث الأول: ماهية الحوار**
- **المبحث الثاني: أهمية الحوار**
- **المبحث الثالث: مشروعية الحوار**
- **المبحث الرابع: مجالات الحوار**

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

ماهية الحوار

ما الحوار؟ وما تعريفه لغة ؟ وما مضمونه اصطلاحًا ؟

هذه هي بداية رحلتنا مع الحوار، وذلك على النحو التالي:

أولاً: تعريف الحوار لغة

ثانيًا: فحوى الحوار اصطلاحًا

أولاً: تعريف الحوار لغة(1)

الحِوار، بكسر الحاء، من حاور، محاورة، وحواراً، أي جاوب وجادل، وفي التنزيل، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ (الكهف: 37)، وتحاوروا أي تراجعوا الكلام بينهم، وتجادلوا، وعرَّف مجمع اللغة العربية المصري الحوار، بكسر الحاء، بأنه حديث يجري بين شخصين أو أكثر في العمل القصصي أو بين ممثلين أو أكثر على المسرح، والحِوار بكسر الحاء، على النحو المتقدم، بخلاف الحُوار، بضم الحاء؛ إذ الأخيرهو ولد الناقة من وقت ولادته إلى أن يفطم ويفصل.

مما تقدم، يتضح أن معاني الحوار تدور حول المجاوبة والمجادلة ومراجعة الكلام بين قائليه، وهذا كله كائن في كل حديث، أما تعريف مجمع اللغة العربية المصري المذكور فهو غير عام، بل خصه المجمع بالمجال القصصي و ما كان على

(1) انظر، مختار الصحاح، للشيخ محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، طبعة دار الحديث، بدون تاريخ، باب حور، ص98، و المصباح المنير، للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، طبعة دار الحديث الطبعة الأولى، 1422هـ –2000 م، باب حور، ص96، والمعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية المصري، طبعة 1421هـ –2000م، باب حور، ص177

المسرح، والحق أن الحوار أعم من هذا بكثير، إذ كل حديث يكون فيه القول والقول الآخر، وتجاوب الكلام ومراجعته يكون حواراً، أينما كان محله، وأيًّا كان عدد المتحدثين.

ثانيًا: فحوى الحوار اصطلاحًا

- وإذا كان معنى الحوار لغة - كما تقدم - يدور في فلك التحادث بين شخصين، وما يستتبعه من مراجعة القول والقول الآخر فضلاً عن المجاوبة، بل وقد يصل الأمر إلى المجادلة بينهما، فإن مضمون الحوار اصطلاحًا لا يختلف عن هذا المعنى اللغوي، غير أنه ينحصر محله فيما يخص الشرع، ويكون مناطه في هذا البحث متعلقًا بالدعوة والتربية والثقافة.

وعليه يمكن تعريف الحوار اصطلاحا على النحو الآتي:

الحوار: حديث بين شخصين أو أكثر في مجال الشرع .

obeikandl.com

المبحث الثاني

أهمية الحوار

الإنسان مدني بطبعه، إذ لابد من العيش والاتصال بالآخرين، فالاجتماع الإنساني ضرورة؛ إذ به يتم تبادل المنافع والمصالح، و مادام الأمر كذلك، فكيف يتم هذا التبادل؟ وعبر ماذا يتم هذا الاتصال؟ إنه عبر الحوار، فالحوار وسيلة الاتصال بالآخرين، وطريق بيان الحقوق والالتزامات، ومن خلاله يتم حلول المشكلات.

إن الحوار هو أداة البيع والشراء والإيجار والشركة وغيرها من سائر المعاملات، الحوار هو بداية النكاح، وبنهايته يكون الطلاق، الحوار هو سبيل تحديد أمور الحضانة وسائر النفقات، بالحوار تتضح مفردات الحدود والجنايات من قاتل ومحدود.

- نعم، الحوار طريق بيان صحيح العقيدة، وبه يكشف فساد سائر الملل والفرق المخالفة لها.
- نعم، بالحوار يشهد الكل بعظمة المنظومة الإسلامية، من منظومة قضائية وإدارية ومالية وسياسية واقتصادية ودولية.
- نعم عبر الحوار يقدم الداعية خير دعوة لمدعويه، ويقدم المحاضر خير محاضرة لمحاضريه، ويقدم المثقف خير ثقافة لسامعيه.
- نعم، بالحوار يكون حسن التربية، فالحوار هو دأب جناحي الأسرة من أب وأم، ناهيك عن الولد، وبالأحرى يكون بين المدرس وتلميذه، فبالحوار يتم التعليم، بداية من أحكام التجويد، ونهاية بسائر المواد والعلوم.

وحدث عن هذا في كل مجالات الحياة يبن لك أهمية الحوار؛ في المجالين: النظري والعملي، في الروح والمادة، في الدعوة والتربية والثقافة، في الأطر الفكرية، وبين جنبات الحياة العملية، بين الفرد وأخيه المسلم، بل وغير المسلم، بين الشعوب وحكامها، وفي العلاقات بين الدول وبعضها، ناهيك عن العلاقات التي تتم بين منظمات المجتمع المدني من الجمعيات والنقابات وغيرها، والمنظمات الإقليمية والدولية وغير ذلك.

وبالأحرى، فالحوار هو سبيل اتصال الأفراد والجماعات والشعوب والدول، ومن خلاله ترتقي الأمم والشعوب، وتتقدم التقنيات والحضارات. وإذا كان الماء مناط حياة الإنسان المادية، فبالحوار المشروع تسري فيه الحياة المعنوية والروحية.

obeikandl.com

المبحث الثالث

مشروعية الحوار

الحوار مشروع بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: الكتاب

ورد معني الحوار في كتاب الله عزَّ وجل بصورة حافلة، سواء عبر مشتقات لفظة الحوار أو مضمونها، أو من خلال أمثلة ما وردت للحوار في القرآن:

أ- مشتقات لفظة الحوار:

وردت مشتقات الحوار في ثلاثة مواضع(1) من القرآن الكريم، اثنين منها في موضوع واحد، وفي سورة واحدة، ألا وهي سورة الكهف، والثالث في أول سورة المجادلة. فأما الاثنان اللذان في سورة الكهف، فقد وردا في قصة صاحب الجنتين(2)، في قوله عز وجل ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ

(1) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، ص 22

(2) والقصة أن الله أسبغ على كافر نعمه الجليلة، فجعل له بستانين حسنين، وحباهما من كل الثمرات، وخصهما من أشرف الشجرات، العنب والنخل، وجعل الأنهار في جوانبهما سارحة كثيرة غزيرة. فأشرا شرًا عظيمًا، فهل شكر نعمة ربه؟! كلا، بل تفاخر على صاحبه المؤمن بكثرة ماله، وعزة أنصاره، فأي جهل هذا ممن يفتخر بأمر أوتيه، لم يكن له فضل في جلبه، بل عظم جهله، وركن إلى الدنيا، واعتقد أنها لن تنقطع أبدًا، وكانت الطامة، فأنكر بالبعث، بل وادعى، تهكمًا منه وسخرية، أنه لو رد إلى ربه فسيعطيه خيرًا من جنتيه، فظلم نفسه، فما كان من صاحبه إلا أن نصحه وذكره بنعمة ربه عليه، وأنه الذي أوجده من عدم، ونقله من طور إلى طور، وهيأ له نعم الدنيا، فأمر المؤمن بربوبية الله عز وجل وتوحيده له وعدم الشرك به، وأوضح أن النعمة الحقيقية هي نعمة الإيمان، وأن ما عند الله خير وأبقى، وأنه قادر على إعطائه، كما هو قادر على سلب الكافر ما أعطاه بعذاب من عنده. وقد كان، إذ أحيط بثمره، وأصبح الكافر يقلب كفيه على ما أنفق فيها، ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدًا، فكان هذا من ضرب المثل للمؤمن الشاكر، وللكافر الجاحد، وعاقبة كل ونهايته.

أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ (الكهف: 34)، وكذلك قول الله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا﴾ (الكهف: 37).

ووجه الشاهد في الآيتين واضح، ففي الأولى، يحاور صاحب الجنتين الكافر صاحبه المؤمن، معتزًّا بماله ونفره، مفتخراً بهما، وفي الآية الثانية، حوار من المؤمن للكافر بتذكيره بآلاء الله عز وجل عليه مذ بدء خلقه، وفيهما ـ أي الآيتين ـ بيان مشروعية الحوار، كيف لا؟! وهو أداة التخاطب، ووسيلة الحديث، وإذا كان الكافر قد استخدمه في سبيل نصرة باطله، فلعل تكرار لفظة "يحاوره" للدلالة ـ فوق كونه مشروعًا ـ أنه لا بد منه لإحقاق الحق وإبطال الباطل إزاء ترويج الباطل لباطله، وحتى لا تكون ثمة فتنة بعد.

وأما الموضع الثالث، فقد ورد في صدر سورة المجادلة في قصة أوس بن الصامت الذي ظاهر من زوجته(□)، قال تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ

راجع بتصرف تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، للشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ – 2000م، ص 476 وما بعدها.

(□) والقصة ذكرها الإمام أحمد في المسند 410/6 بسنده عن خويلة بنت ثعلبة، قالت فيّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده وكان شيخًا كبيرًا قد ساء خلقه، قالت: فدخل عليَّ يومًا فراجعته بشيء فغضب، فقال أنت عليَّ كظهر أمي. قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليَّ، فإذا هو يريدني عن نفسي، قالت: قلت كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليَّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، قالت: فواثبني فامتنعت عنه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابًا، ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول "يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير، فاتقي الله فيه"، قالت: فوالله ما برحت حتى نزل فيَّ قرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ثم سري عنه فقال لي: يا خويلة، قد أنزل فيك وفي صاحبك قرآناً – ثم قرأ الآية المذكورة وبيّن

ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: 1).

ووجه الدلالة من الآية المذكورة جلي واضح، إذ أضفى المشروعية على التحاور، لاسيما وأنه تحاور يدور في بيان الوصول إلى حكم الحق، وذلك لبيان حكم الله في الظهار.

وبضميمة هذه الآية إلى الآيتين السابقتين يتضح أهمية التحاور إذ لم يذكرها القرآن الكريم بمشتقات لفظها، إلا في معرض التدافع بين الحق والباطل، وفي سبيل الوصول إلى الحق، وما ذلك ـ والله أعلم ـ إلا ليرشدنا إلى عظم دور الحوار، وأنه منارة للحق، ورايته، وسبيل إقراره وتدشينه.

أ- مضمون معنى الحوار

أما بخصوص مضمون ما ورد بصدد معنى الحوار في القرآن الكريم، فقد حفل به كتاب الله عز وجل، ونختار ما ورد من خلال ألفاظ الحديث، والخطاب، والمجادلة، والمحاجاة والكلام(□)، وهاك بيان ذلك:

أـ قال تعالى: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (النساء: 140). وفي هذه الآية الكريمة إرشاد من الله عز وجل إلى المسلمين أن يجتنبوا مجالس الكافرين والمنافقين الذين يخوضون في آيات الله ويستهزءون بها عبر الحديث، وقد يكون بينهم مسلمون، فعلى المسلم أن يجتنب أولئك

كفارة الظهار. ذكر القصة ابن كثير في تفسيره ـ تفسير القرآن العظيم – تحقيق/ طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى (1417هـ – 1996م)، المجلد الرابع– الجزء الثامن ـ مصر.

(□) وهنا نكتة لطيفة حيث تدور بدايات حروف الحوار وجل مشتقاتها بين الجيم والحاء والخاء (حور ـ حدث ـ خطب ـ جدل – حجج).

ومجالسهم؛ لئلا يكون منهم، ويحشر معهم، وإذا كان المسلم أساسًا داعيًا إلى ربه، فكيف يجلس في مجالس يصمت فيها عن الحق، وكأنه شيطان أخرس؟! وأي حق هذا!! إنه يطعن في دين الله عز وجل، ومع ذلك يجلس بينهم!!! وكم من مجالس يجلس فيها المسلمون وقد كتب عليهم التيه ويطعن فيها الطاعنون، ويلمز فيها اللامزون، ولا مستنكر!

وفي الآية الكريمة، بيان مشروعية الحديث والحوار، لكن ذلك مشروط بعدم الإتيان بما ينقض دين الله عز وجل.

1ـ قال تعالى: ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ * إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ * إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ (سورة ص: 21ـ23).

وهذه قضية إنسانية أخرى، ظلم وجور بين الشريكين، وقل من لا يفعله، والعجيب أن من لديه الكثير ينظر إلى من عنده القليل! ماذا تريد؟! لقد أعطاك الله، أهذا شكر نعمته؟! لا، إنه النهم الجنوني للدنيا، وللأسف الشديد، تراه يقهر غيره للوصول إلي ما يريد، يحطم سواه لنيل مآربه، يلون في الحديث ويتلون، يبسط الحجج الباطلة بسطًا، ولو بالباطل، وصدق رسول الله ﷺ، إذ يقول: "إنكم تختصمون إلى ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض. فأقضي له على نحو مما أسمع منه. فمن قطعت له من حق أخيه شيئًا، فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من النار"(1).

(1) صحيح، رواه مسلم برقم (1713) – باب كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة.

وفي هذا بيان لمشروعية الحديث، والتحذير واتخاذ اللحن فيه مطية لاغتصاب حقوق الآخرين وظلمهم.

3ـ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٖ﴾ (غافر: 35).

وهذه آفة أخرى للحوار، إذ بعد أن يعرض الله الآيات البينات والمعجزات الواضحات، ومنها القرآن الكريم، لم يبق إلا الإذعان للحق، لكن كيف هذا مع نفوس ملئت بالكبر!! كيف ذلك مع نفوس تأصلت على التكبر والتجبر على الآخرين!! إنه مع فقرهم في الحجة، وخلو أيديهم من البيان يأخذ الحوار، وهو مشروع، فينقله إلى عدم المشروعية، بالجدال في الآيات، جدال لرد الحق، جدال للطعن في الحق، جدال لمجرد الجدال، فكان طبع الله على قلوبهم جزاء وفاقًا لسوء صنيعهم.

وإذا كان الحوار يلتصق بالإنسان في دنياه، فلا غرو كذلك أن يكون في أخراه. وكتاب الله تعالى زاخر بمثل هذه الحوارات كالحوار بين أهل الجنة وأهل النار وبيان من وجد ما وعده ربه حقًا كما في آيات سورة الأعراف، قال الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ * ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ * وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ * أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ

تَحۡزَنُونَ * وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف: 44ـ 50).

وهناك وكذلك الحوار بين أهل النار فيما بينهم، والتي تبلغ الحسرة مداها يومئذ. فهؤلاء التابعون الذين كانوا يؤلهون المتبوعين، وهؤلاء المستضعفون الذينً كانوا يسيرون في ركاب المستكبرين، رأوا نتيجة عملهم إذ كانوا شركاء مع آلهتهم في نار جهنم.. ماذا فعلوا لكم؟! أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون؟!! هل نصروكم؟!! هل أغنوا عنكم من العذاب شيئًا؟!! ومن ذلك آيات سورة البقرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ * إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ *وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: 165ـ167).

ناهيك عن الحوار بين أهل النار وملائكة العذاب، إذ يستغيثون من النار، ومن عذابها، ويتضرعون ويلهثون أن يخفف عنهم يومًا من العذاب، يومًا واحدًا من العذاب. لكن هيهات هيهات، لقد أذقتم المؤمنين المستضعفين سوء العذاب، لقد ذبحتم وقتلتم، لقد توليتم ركاب فتنة الناس عن دينهم، فيرد عليهم الملائكة بعد سنوات وسنوات أن ذوقوا ما كنتم تعملون. لقد جاءتكم الآيات والرسل فكذبتم واستكبرتم وجحدتم، كذلك الحوار بين الله عز وجل وأهل الجنة وأهل النار، كما في آيات سورة الأنعام. قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ* بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ

لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ * وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۗ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ * وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنعام: 27ـ32).

كل ذلك يبين مشروعية الحوار، ويرشدنا ويحثنا على أن نكون من أهل الجنة، لا من أهل النار، حيث يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم، وما هم بخارجين من النار.

جـ - الحوارات القرآنية

لقد حفل القرآن الكريم بأمثلة عملية للحوار، بل يضع القرآن أيدينا بهذه الحوارات على مكنون النفس البشرية وعلاجها من أمراضها، وبيان الحجج الإلهية ضد ألوان الجدال الشيطانية، كما تضمن كثيراً من الدروس العملية، التي تفيد النفس الإنسانية. فترى الحوار بين الله عز وجل والملائكة كما في آيات سورة البقرة السالف ذكرها، ناهيك عن الحوارات بين الأنبياء والمرسلين من جهة وقومهم من جهة أخرى، كما هو جلي واضح في القرآن، وبخاصة سور الأعراف وهود والشعراء(1).

حوار بين الله ﷻ وكليمه سيدنا موسى عليه السلام:

(1) سيأتي في الفصل الثاني بيان المستفاد من بعض لهذه الحوارات والمقصود هنا بيان مشروعية الحوار ليس إلا.

قال الله تعالى في سورة الأعراف :

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ * قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ * وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ * سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ * وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (الأعراف : 143ـ147).

حوار سيدنا نوح عليه السلام مع قومه :

قال الله تعالى : ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ * قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ * قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ * أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا

عَمِينَ﴾(الأعراف : 59ـ64)

حوار هود عليه السلام مع قومه :

قال الله تعالى : ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۞ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۞ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۞ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ . (الأعراف : 65ـ72)

حوار صالح عليه السلام مع قومه :

قال الله تعالى : ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۘ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى

ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۞ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۞ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ (الأعراف: 73ـ79).

حوار لوط عليه السلام مع قومه:

قال الله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۞ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۞ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۞ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (الأعراف: 80ـ84).

حوار شعيب عليه السلام مع قومه:

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ

صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۞ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ۞ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ۞ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ۞ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ۞ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۞ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف: 85-93).

وحوار موسى عليه السلام مع فرعون والسحرة:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي

رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۞ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۞ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۞ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۞ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۞ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ۞ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۞ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ۞ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۞ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۞ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۞ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: 103-126)

وبالإضافة إلى ما تقدم، هناك الحوارات بين الأنبياء وغيرهم كما في قصة يوسف وقصة سيدنا موسى عليه السلام والخضر، إذ قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۞ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ۞ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۞ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى

ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ۞ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ۞ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ۞ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ۞ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ۞ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ۞ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ۞ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ۞ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا إِمۡرٗا ۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ۞ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ۞ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ۞ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ۞ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ۞ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ۞ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ۞ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ۞ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ۞ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾ (الكهف: 60ـ82). كذلك حوار موسى عليه السلام والرجل الصالح ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ

هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ (القصص: 27–28).

وفضلاً عن ذلك، الحوارات القائمة بين آحاد الناس كالحوار بين الرجل المؤمن وصاحب الجنتين في سورة الكهف، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا * كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا * وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا * وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا * قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا * لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا * وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا * فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا * أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا * وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرٗا﴾ (الكهف: 32ـ 44) وكذلك في سورة القلم من أصحاب الجنة، وغير ذلك كثير مبثوث في القرآن.

و الحاصل مما تقدم بيان مشروعية الحوار. كيف لا؟! وهو رديف الإنسانية حيث وجدت.

ثانيًا: السنة

تعدّ السنة مصدراً خصبًا كذلك لبيان مشروعية الحوار. بل هي في حد ذاتها

حوار، كما هو جلي واضح في السنن القولية، وما أقر به النبي ﷺ أصحابه عليه. وعليك أن تستعرض السنة القولية، وفيها تجد من عديد الحوارات ما تفيد به وتستفيد. وفي عامة أبواب الشرع؛ إذ تجد سؤال الصحابة للنبي ﷺ في عديد من المواطن لبيان وجه، الحق من ذلك ما رواه أبو هريرة ﷺ، قال: سأل رجل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: هو الطهور ماؤه، الحل ميتته "(1).

ومن أنواع الحوار كذلك ما كان بين الرسول ﷺ والملائكة، ومنه حديث الإيمان المشهور، فلقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ يومًا بارزًا للناس، فأتاه رجل فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر". قال: يارسول الله، ما الإسلام؟ قال: "الإسلام أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك". قال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، فذاك من أشراطها، وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس، فذاك من أشراطها. وإذا تطاول رعاء البَهْم في البنيان، فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله". ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: 34). قال: ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله ﷺ: "ردوا علي الرجل". فأخذوا ليردوه، فلم يروا شيئًا. فقال

(1) رواه أبو داود برقم (83) – وعند ابن ماجه بلفظ غيره برقم (3246)

رسول الله ﷺ : "هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم" (□) .

ومن أنواع الحوار الذي دشنته السنة ما كان من إقرارالنبى ﷺ، لأفعال بعض الصحابة، فلقد روى أبو داود بسنده عن عمرو بن العاص. قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح. فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال "يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب". فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت إني سمعت الله يقول ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا. (□)

نخلص من ذلك كله إلى ثبوت مشروعية الحوار كذلك بالسنة النبوية المطهرة.

ثالثًا: الإجماع

ولا أظن أن واحدًا ينكر إجماع الأمة على مشروعية الحوار. كيف لا وهو مفتاح البلاغ، وطريق الدعوة، وسبيل التربية، وأداة الثقافة، وغير ذلك من الأمور التي أجمع على وجوبها العلماء، والتي لا ولن تتحقق إلا بالحوار. فكان الحوار بالتالي محل إجماع بالتبعية.

رابعًا: المعقول

الحوار مشروع عقلاً، وذلك لأمور عدة، منها :ـ

إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان واستعمره في الأرض، وحتى يؤدي الإنسان هذه المهمة، لابد من الاتصال بالآخرين، وسبيل الاتصال وأداته ليس

(□) صحيح، رواه مسلم برقم (5) كتاب الإيمان – (باب) بيان الإيمان والإسلام والإحسان ج1/ 78 – صحيح مسلم بشرح النووى –ط– دار الحديث– الأولى 1415هـ – 1994م .

(□) رواه أبو داود برقم (334)

إلا الحوار.

وإنه لو لم يكن هناك حوار لانعدم الاتصال. ولنا أن تصور الحياة حينئذ، حيث تفقد أساسها وثمرتها، إذ تكون الحياة بين صم بكم، حتى لا يتحاورون بموجب لغة الإشارة المعاصرة الخاصة بهم، وهذا يجعل الحياة موتًا، فبطل أصلها وهو عدم الحوار، وثبت ضدها، ألا وهو مشروعية الحوار.

وما قيل في عمارة الأرض يثبت في القيام بالواجبات الشرعية، وهي آكد وأوجب وأولى، وتُقدَّم على عمارة الأرض، فثبتت إذن مشروعية الحوار.

إن الله خلق الإنسان، وخلق له أدوات ووسائل الحوار من سمع وبصر ولسان ويد للإشارة للصم والبكم. وإذا انعدم الحوار، لم يكن لهذا الخلق من أهمية، وكان خلقه عبثًا. وهذا مستحيل على الله عز وجل، فبطل أساسها، وثبتت أهميتها. ولن تتحقق أهمية هذه الوسائل إلا باستخدامها، واستخدامها ليس إلا نوع حوار، فثبتت مشروعيته.

مما تقدم، يتضح ثبوت مشروعية الحوار بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول، لكن الإسلام لا يقر أي حوار كان، إلاّ بضوابط مخصوصة. ترى ما هي هذه الضوابط؟ وقبل ذلك : ما هي مجالاته؟

المبحث الرابع: مجالات الحوار

الحوار لصيق بالإنسانية، فحيثما وُجد الإنسان كان الحوار، ولذا فالحوار أعمّ من أن يكون له مجال، إذ يكون بين الصغير والكبير، وبين الزوج وزوجته، وبين الفرد وغيره، ولكل مجاله ونطاقه.

بل، وقد يكون الحوار بين الفرد ونفسه، وهو أصدق الحوار، متى صدق فيه المرء مع نفسه. ولعل النفس اللوامة من نتاج هذا الحوار، وعلى العكس تكون النفس الأمارة بالسوء، متى دعته إلى داعي السوء.

وإذا كان هذا بصفة عامة، فإن الدائرة تنحسر بعض الشيء إذا خصصنا محل الحوار. فإذا كنا بصدد الحوار في الدعوة، فيكون الحوار بين الداعية والمدعون، ويكون موضوع الحوار حالئذ ليس إلا دعوتهم. وبالتالي، يكون مصب الحوار في دائرة الشرع من خلال الكتاب والسنة. وإذا كان الأمر متعلقًا بالتربية، فيكون طرفا الحوار هما المربِّي والمربَّى، ويكون غاية الحوار ما يتصل بالتربية، وقد يكون فحوى الحوار خاص بالثقافة وكل ما يشملها.

إزاء ما تقدم، منها: ـ

1ـ إن تقسيم الحوار ليس إلا تقسيمًا نظريًّا فحسب، ويشهد الواقع بذلك، إذ تتلاقى شتى موضوعات الحوار دون حدٍّ فاصل بينها. فقد يكون موضوع الحوار في الدعوة، ثم يتطرق الحديث بعدئذ إلى الثقافة وأطرها، وهكذا.

2ـ إنه مما يساعد على عدم جمود أطر الحوار وتعددها، تفاعل العلوم الإنسانية والنظرية معًا، واتصالها ببعضها بشكلٍ أو بآخر، إذ لا يمكن الحديث على وجه موضوعي متعمق، عن علم، دونَ التطرق إلى علم آخر، فالحديث عن الدعوة يتطرق إلى التربية، وقد يكون مدخل الدعوة عبر الثقافة، ونحو ذلك.